



الوضع الصحي والمعيشي لبابلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني :
* The health status and living conditions in the west Beylik of Algeria during the late ottoman period

كاميلية دغموش (*)

جامعة وهران 1، الجزائر

kamiliaprof2018@gmail.com

د. بن عمر حمدادو

جامعة وهران 2، الجزائر

sidahmedh1976@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/11/03

تاريخ الإيداع: 2018/10/03

الملخص:

تقتضي دراستنا للوضع الصحي والمعيشي في بابلك الغرب أواخر العهد العثماني أن نتعرض لأهم الأمراض والأوبئة في هذه الفترة، حيث أن أهم ما ميز هذه المرحلة هو سوء الحالة الصحية و تدهور الأوضاع المعيشية، وهذا ما كان له انعكاسات سلبية على المجتمع ببابلك الغرب، وأضر بوضع السكان الاجتماعي، فظهرت المجاعات المهلكة بين الفينة والأخرى، وما زاد الطين بلة هو عدم انتهاز أغلب البايات لسياسة صحية واضحة و مدروسة للقضاء على تلك الأمراض والأوبئة .

الكلمات الدالة:

الأمراض، الأوبئة، الوضع الصحي، بابلك الغرب، السلطة العثمانية

Abstract:

Our study discusses the health status and living conditions In the West Baylek during the late ottoman period, We would therefore refer to the most widespread diseases and epidemics in that period ,which led to a general deterioration of the health situation and living conditions of the population ,and this has in turn resulted negative impacts on the society in the region such as the emergence of famine .But what made matters worse in the lack of a viable health policy to eliminate these diseases and epidemics .

Key Words:

the health status ,Algeria , the West Beylek of Algeria , the late ottoman period , epidemics ,The ottoman authority in Algeria.

(*) المؤلف المرسِل: كاميلية دغموش : kamiliaprof2018@gmail.com



لعل أهم ما يميز المرحلة الأخيرة من حياة إيالة الجزائر هو سوء الحالة الصحية و تدهور الأوضاع المعيشية، مما أثر سلبا على نمو السكان و أضرّ بوضعهم الاجتماعي¹، حيث ظهرت المجاعات المهلكة بين الفينة والأخرى، و ساعد ذلك بدوره على تردي الأوضاع الصحية، فانتشرت الأوبئة الفتاكة التي كان لها أسوأ الآثار على البلاد و العباد على حد سواء².

و يعود السبب الرئيسي لهذا التردي و التدهور الاجتماعي إلى انتقال العدوى و انتشار الأمراض من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط، و انفتاحها على أقاليم السودان و علاقاتها التجارية مع أوروبا و ارتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي³.

أ- الأمراض و الأوبئة :

إن صلة الجزائر بالعالم الخارجي، و كذا انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية و حول بعض المدن الداخلية، و كذا انعدام التدابير الوقائية، و الجهل النسبي بالقواعد الصحية، كانت تلك هي العوامل التي ساعدت في الانتشار الواسع و السريع لمختلف الأوبئة و الأمراض⁴.

و فيما يتعلق بالأمراض التي عانى منها سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني فهي متعددة، البعض منها كانت ناتجة عن سوء التغذية و البؤس، و البعض الأخرى كانت مرتبطة بعدم الالتزام بالقواعد الصحية، فقد تسلطت أمراض على الأطفال، كما مست أمراض أخرى المسنين.

و من أخطر تلك الأمراض الحمى بمختلف أنواعها، فقد أصيب بها السكان من مختلف الأعمار و من أنواع هذه الحمى :الحمى المترددة و المتواترة، حمى الربيع المعروفة بحمى الصفراء و حمى الصيف، و قد تسببت في نسبة هامة من الوفيات، و قد تسلطت بصفة حادة و متكررة على المسنين⁵.

و الواقع أن هناك عدة طرق لعلاج الحمى، فعندما كان يصاب الجداقون المسيحيون على السفن الجزائرية بالحمى، كان رب السفينة يرغمهم على الاستمرار في الجذف، و يطعمهم بالخبز المجفف و الماء العذب، و اللحم المالح، و كان ذلك يساعدهم على إخراج العرق مما كان يعجل شفائهم⁶.



و إذا كان الأهالي غالبا ما كانوا يجدون العلاج المناسب للأمراض العادية، على بساطة وسائلهم و طرق علاجهم، فإنهم عجزوا عن مواجهة الأوبئة الخطيرة التي كانت تتعرض لها البلاد خلال العهد العثماني من فترة و أخرى، مثل : الطاعون، الكوليرا، الجدري، التيفوس التي كانت تفتك بأعداد كبيرة، و تؤثر سلبيا على الحياة العامة، لأنها من الأسباب الرئيسية التي كانت تتسبب في انخفاض عدد السكان في الجزائر كلما ظهرت فيها.⁷

*وباء الطاعون :

لقد شكل الطاعون أخطر مرض عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد، فكان بمثابة الخطر الذي يترصد السكان باستمرار، فقد تكرر ظهوره في شكل حلقات متعاقبة تسببت في انهيار ديمغرافي و أدت إلى تدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على اقتصاديات البلاد، تاركا ندوبا خطيرة في البنية الاجتماعية الجزائرية.⁸

أما فيما يخص التوزيع الجغرافي لوباء الطاعون، فإن بابلك الغرب الجزائري احتل المرتبة الأخيرة في الإيالة بنسبة لا تتعدى 15 ٪ من أوبئة الطاعون التي فتكت بالإيالة طيلة الفترة العثمانية.⁹

بعد فتح مدينة وهران الثاني سنة 1792 م، و نتيجة للزلازل العنيف التي أصابها في ليلة 8 إلى 9 أكتوبر 1790، إذ دمر في ثلاث دقائق، على الساعة الواحدة ليلا، جميع المنازل و الكنائس و نتج عنه حريق و هزات متكررة إلى غاية يوم 22 نوفمبر و 6 جانفي 1791 م متسببا في قتل 3000 ضحية¹⁰، تعرضت هذه المدينة إلى وباء الطاعون و الذي راح ضحيته عدد كبير من الناس، فاضطر الباي محمد الكبير إلى الفرار إلى خارج المدينة، فتوجه هو و أسرته إلى مدرسة خنق النطاح، التي شيد مكانها مسجدا سنة 1793 م.¹¹

كما تعرضت من جديد مدينة وهران إلى وباء الطاعون سنة 1794 م، و سمي هذا الطاعون ب "بحبوحة عثمان" نسبة إلى عثمان، الذي كاد أن يتوفى بسببه، لجأ الباي محمد الكبير إلى سهل ملاتة، و بعد ثلاثة أشهر عاد إلى قصره.¹²



عرفت الفترة الممتدة ما بين 1796 إلى غاية 1804 م، ظهور العديد من الأوبئة الطاعونية في مدن بابلك الغرب و من أهمها: وهران، تلمسان، و قد أحدثت مرة أخرى خسائر بشرية هامة ¹³، كما عانت مدينة وهران سنة 1799 م من ضربات الطاعون الذي أدخله الحجاج في 23 مارس 1799 م، إذ نقلوا العدوى إلى تلمسان، معسكر، و تادميت ¹⁴.

أما عن آثار هذا الطاعون، فيذكر مسلم بن عبد القادر أنه تسبب في موت الكثير من الناس، فقال: " عاد في أيامه -أي الباي عثمان - الطاعون بهذا الوطن ... و مات به الجل من الناس، و العلماء كالعلامة الشيخ سيدي عبد القادر بن السنوسي، و دح بن زرفة، و أخيه الفقيه الألعلي الأريب صاحب فتح وهران السيد محمد المصطفى بن عبد الله و غيرهم " ¹⁵.

اتصفت إيالة الجزائر ما بين سنتي 1805 و 1816 م بكونها بيئة خالية من وباء الطاعون، كما تشير إلى ذلك جل التقارير القنصلية حيث تثبت عدم وجود الطاعون أو أمراض أخرى معدية ¹⁶، ثم أعقبت هذه المرحلة عودة الأوبئة الطاعونية في الجزائر، و ذلك سنة 1816 م الذي تسرب للإيالة عن طريق سفن آتية من المشرق و على متنها فرق عسكرية تركية و بضائع معدية، و مما زاد هذا الوباء حدة هو المجاعة المروعة التي عرفتتها الجزائر نتيجة اجتياح الجراد سنة 1815م بحيث انتشر هذا المرض بسرعة في مدينة وهران مع نهاية شهر جوان سنة 1817م و استمرت وطأته إلى سنة 1822 م ¹⁷، و حسب شهادة القنصل البريطاني فقد كانت جماعات كبيرة من أهالي مدينة وهران تموت في الشوارع ¹⁸، و من شدة هذا الطاعون فر عدد كبير من اليهود القاطنين بالمدينة إلى المدن المجاورة ¹⁹.

و واصل هذا الوباء ضرباته القاسية، حيث ضرب مدينة وهران مرة أخرى سنة 1818 م، و تميز بشدته و انتشاره في كل الإيالة الجزائرية، و قدر عدد الضحايا في مدينة وهران ب: 7000 ضحية ²⁰، إذ يقول الحاج أحمد الشريف الزهار: " و كان الوباء و قد اشتعلت ناره وقت الضحى وصلت مائة جنازة " ²¹.

كما تعرضت كل من مدينتي وهران و معسكر إلى وباء الطاعون سنة 1819 م، إذ كان يموت يوميا ما بين 20 و 30 فرد، من بينهم خادم كان يشتغل



عند السيد "أورتيز ORTIZ" قنصل اسبانيا في الجزائر، ز انتشرت العدوى بكثرة في الثكنات، و اشتدت وطأت الوباء انطلاقا من 9 ماي، إذ كان يموت يوميا بمدينة وهران ما بين 30 و 40 فرد، و وصل عدد الضحايا في نهاية جوان إلى حوالي ثمانين ضحية يوميا.²²

أما السنوات من 1823 إلى 1830 م، فقد تميزت خلالها إيالة الجزائر بوضع صحي ممتاز و تدلنا على ذلك المراسلة القنصلية و تقارير الضباط الفرنسيين على الأحوال الصحية الجيدة بالبلاد، إذ أن جل الرسائل الدبلوماسية تثبت ذلك، و يؤكد هذا مراسلة شبه القنصلية الفرنسية بوهران، إذ تثبت الصحة الجيدة التي تسود بايلك الغرب، حيث يشير شبه القنصل بوهران إلى عدم وجود الطاعون أو مرض معدي آخر.²³

و فيما يلي جدول كرونولوجي لوباء الطاعون في بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة المدروسة:²⁴

السنة	المنطقة
1793 -	- معسكر .
1794 -	- وهران .
1796 -	- وهران .
1798 -	- تلمسان .
1799 -	- وهران - معسكر - تلمسان .
1802 - 1804	- وهران .
1817 -	- وهران .
1818 -	- وهران .
1819 -	- وهران .
1820 -	- وهران .
1821 -	- وهران - تلمسان .

ب- الكوارث الطبيعية :



بالإضافة إلى الأمراض و الأوبئة شهد بايلك الغرب العديد من الكوارث الطبيعية منها: الزلازل التي تسببت في خراب بعض المدن، و منها زلزال وهران، بحيث منذ نهاية شهر أوت 1790 م، و وقع بمدينة وهران العديد من الهزات الأرضية، توقفت حيناً في منتصف سبتمبر إلى غاية أول أكتوبر، و تجدد في ليلة 8-9 أكتوبر 1790 م، بشكل عنيف، على الساعة الواحدة ليلاً، و قبل حدوث هذا الزلزال هبت عاصفة هوجاء²⁵، دام هذا الزلزال ثلاث دقائق، ثم انقطع ليتجدد مرات عديدة يوم السبت²⁶.

و قد ذكر ابن زرفة أن هذا الزلزال وقع "في جوف ليلة التاسع و العشرين من محرم سنة خمس و مائتين و ألف (1205 هـ)"²⁷، بينما يذكر ابن سحنون أن "الزلزلة وقعت ليلة السبت الأولى من صفر سنة خمس و مائتين و ألف هجرية بعد مضي سبع ساعات و نصف من الليل"²⁸.

بلغ عدد ضحايا الزلزال سبعة آلاف (7000) قتيل، و أربعة آلاف بقوا تحت الأنقاض، كما بقي عشرون جندياً من فيلق في ثكنة القصبة القديمة في وهران، و هلك الحاكم الإسباني للمدينة Nicolas Garcia (Don) و لم يعثر على جثته، و تم تعيين حاكم جديد للمدينة يدعى (le ComteGumbre Hermozo)، و تحطم أكثر من نصف المدينة²⁹، كما التهمت النيران بعض السفن و أماكن أخرى، و مما ذكره قائد الجيش الإسباني في تقريره للملك ما يلي :

"إن بعض الرجال الذين لا أخلاق لهم، من أصحاب الحياة السافلة (من إسباني وهران) قد اغتتموا فرصة هذه الحادثة، فأمعنوا في نهب الديار الغنية بصفة أفضع مما لو كان العدو هو الناهب و لم يبق للمستعمرين البائسين أي شيء مطلقاً، و رغم القسوة التي قابلنا بها هذه الأعمال اللصوصية، و العقاب الصارم الذي أنزلناه بمرتكبيها، فإن الأشقياء لم يرتدعوا أصلاً و استمروا في أعمال النهب و السلب"³⁰.

بالإضافة إلى الزلازل، عرف بايلك الغرب كارثة الجفاف، الذي يعتبر من الآفات الطبيعية التي أضرت ببائلك الغرب، بحيث تسبب في حدوث مجاعات و انقطاع المؤن و هلاك العديد من الناس³¹، و كان هذا القحط الشديد مصحوباً بالغلاء، و



موت الكثير من الناس، الذي ذكر الزهار أنه وقع في أعقاب رحيل الاسبان عن وهران³²، و أدى هذا باليائي إلى الفرار للبادية³³، و في سنة 1816 م أصاب مدينة وهران الجفاف، و عم حتى ضواحيها، مما تسبب في فساد الزروع و الثمار.³⁴ و كثيرا ما كان الجفاف مصحوبا بأفة غزو الجراد، هذا الأخير الذي ألحق أضرارا جسيمة بالإنتاج، فأتلفت الغلات و المنتوجات، و ارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا³⁵، ففي عهد الباي عثمان تعرض بابلك الغرب لموجات من الجراد الذي أفسد الزروع و الثمار، و تسبب في ندرة المواد الغذائية و هذا ما أدى إلى زيادة أسعارها³⁶.

ج - المجاعات :

عرف بابلك الغرب الجزائري في نهاية القرن ال 18 م و بداية القرن 19 م عدة مجاعات، منها المجاعة التي اجتاحت البابلك عندما ولى الباي محمد الكبير على معسكر، فذكر الزياني هذه المجاعة بقوله : "حدث بأول مملكته بالمعسكر مسبغة عظيمة هلك بها أناس كثيرون إلى أن أكلت فيها الميتة و الدم و لحم الإنسان و الخنزير و العياذ بالله من ذلك، ثم حدث الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط، فمات به جل الناس بدوا و حضرا، آل الأمر فيه إلى أن انتقل أهل الحضر و الباي بأهله و مخزنه إلى البدو في خيام الشعر طاعنين ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا، و قد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر و أدار بها الزمالة ثم الدوائر، فسمي العام بعام الخيمة الحمراء".³⁷

و في سنة 1794 م وقعت مجاعة كبرى، ضربت مختلف مدن و أرياف بابلك الغرب، و يعود سببها إلى النقص الحاد لمادة القمح في هذه السنة، و الذي يعتبر الغذاء الأساسي للسكان، مما دفع بالسكان إلى أكل المحرمات كما يقول مسلم بن عبد القادر : "...مسبغة عظيمة، أهلكت فيها أمم كثيرة، و أكلوا الميتة و الدم، و لحوم بعضهم البعض".³⁸

كما وقعت في زمن محمد المقلش مجاعة أثرت على أهل تلمسان حتى قامت حرب بين الكراغلة و الحضر، فتدخل الباي بإحضار 900 جمل تحمل القمح الذي صودر من مطامير بني عامر إثر مشاركتهم مع ابن الشريف الدرقاوي في ثورته



ضد البابلك³⁹، حيث يقول عنها المزارعي: " لا حادثة أشد في أيام الباي المقلش من الغلاء المفرط و فناء الناس " ⁴⁰، و في منتصف سنة 1827 م و في فترة حكم الباي حسن "وقع غلاء عظيم و قحط في الناس إلى أن صار الباشا يفرق الخبر صغيرا كالرغيف على الناس فسمي العام بعام خبز الباشا " ⁴¹.

* انعكاسات الوضع الصحي على المستوى المعيشي :

لقد كان لسلسلة الأوبئة التي تسلطت على بابلك الغرب تأثير سلبي على البنية الاقتصادية، فقد عرقلت نمو و ازدهار أغلب المناطق، و لا يفسر ذلك إلا بالوضع الصحي المتدهور للسكان و انعكاساته السلبية على المستوى المعيشي لمختلف الشرائح الاجتماعية .

عرف بابلك الغرب الجزائري تناقص محسوسا في عدد السكان، خاصة في فترات الأوبئة، فبالرجوع إلى الإحصائيات استنتج سعيدوني أن الوضع الديمغرافي كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان، أو كثافتهم، و ذلك تبعا للظروف الصحية و الأحوال المعاشية و الشروط الطبيعية، بحيث يورد عدد السكان في بابلك الغرب خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر (19 م) كالتالي :

* تلمسان : ما بين 8000 نسمة و 15000 نسمة و الراجح 12000 نسمة .

* وهران : ما بين 6000 نسمة و 10000 نسمة .

* مستغانم : ما بين 1200 نسمة و 4000 نسمة .

* مازونة : حوالي 2600 نسمة .

* معسكر : حوالي 6000 نسمة ⁴².

كما تأثر الإنتاج الفلاحي سلبيا بالكوارث الطبيعية التي عانت منها البلاد، و في مقدمتها أوبئة الطاعون سنة 1816 م و ما صاحبه من اجتياح للجراد، مما زاد أوضاع الزراعة سوءا، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الخبر، حيث حرست المخبزات خوفا من اقتحامها من طرف الجائعين، و أصبح صاع القمح يباع بـ 5: سلطاني، بينما كان سعره قبل المجاعة نصف سلطاني، مما جعل السلطات تستورد الحبوب من بلاد اليونان، فانخفض سعر القمح ⁴³.



و من انعكاسات الطاعون اهمال حصاد الأراضي الفلاحية، و هو ما انعكس على الإنتاج فكثر اللجوء إلى الاستيراد، كما زادت وتيرة الاحتكار في المجتمع من قبل أشخاص ظلوا يستغلون انشغال السلطة بمعالجة آثار الأوبئة.⁴⁴

لقد ترتب عن كثرة المجاعات و الكوارث الطبيعية قلة المحاصيل الفلاحية، و هذا ما أدى إلى تقهقر الوضع الاقتصادي الذي عانت منه الطبقات الاجتماعية المحرومة التي ازدادت فقرا و تعاسة، مما جعلها تتوقع على نفسها.⁴⁵

كما تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فاندثرت بعض الأسر و القبائل بأكملها، كما هو الحال مع قبائل الأمحال، الذين سمي طاعون 1786 م بـ: "حبوبة الأمحال" نسبة إليهم، بعدما أفناهم عن آخرهم⁴⁶، كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف، حيث كان لإدارة بيت المال زمن الطاعون " نشاط يفوق نشاط جميع الإدارات الأخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى، و تعمل على تجنب الفوضى التي قد تسبب فيها كثرة الوفيات، كما انها هي التي تتولى التركات المهملة و تقوم بعمليات الميراث".⁴⁷ كما كان لتدهور الأحوال الصحية تأثير على المبادلات التجارية، فمرض الطاعون مثلا يؤثر على الحركة التجارية بصفة حساسة دون أن يجمدها⁴⁸، ففي سنة 1817 م و تفاديا لانتقال العدوى من إيالة الجزائر إلى المغرب، عقد المجلس الصحي الدولي بطنجة اجتماعا طارئا، لإقامة حزام صحي بين المملكة و الجزائر، الأمر الذي عرقل و شل العلاقات التجارية المغربية-الجزائرية، و أثر سلبا على اقتصاد البلاد.⁴⁹

لقد عانى القطاع الاقتصادي هو الآخر من الأوبئة و المجاعات التي هزت القوى المنتجة للبلاد حيث انقرضت اليد العاملة في حرف عديدة مثل: صناعة الحرير و النسيج.⁵⁰

و من نتائج الحالة الصحية المزرية في بابلك الغرب، فرار الناس و تشتتهم في الآفاق، حيث فضل سكان الأرياف الهروب إلى المناطق التي لم يصلها مرض الطاعون و لو كانت بعيدة، و هو ما أثر على الوضعين الاقتصادي و الاجتماعي بهجر الأراضي و ترك الممتلكات و افتقار كثير من الأسر نتيجة لذلك، كما أدت قلة



الأمن إلى انتشار اللصوصية، و كمثال على ذلك قبيلة عشاش، التي تقع في أقصى غرب البايك، تعيث في الأرض فسادا بقطع الطريق، و هو ما استدعى تدخل الباي بإرسال حملة على القبيلة ففرقتها في أرجاء الأرض، و كان هذا هو الإجراء المتخذ ضد قبيلتي المهديّة و أولاد علي بن طلحة اللتين حاولتا انتهاج نفس الطريق.⁵¹

* سياسة السلطة العثمانية اتجاه الوضع الصحي :

رغم انتشار الأمراض و الأوبئة بمختلف أنواعها، فإن التكفل بصحة السكان كان بين أيدي الطلبة و المرابطين الذين كانوا يمارسون العلاج بالطرق التقليدية المعتمدة على التجربة و توارث طرق التداوي عن طريق الأجداد، بالإضافة إلى انتشار السحر و الشعوذة في الأوساط الشعبية فكل الأمراض التي عانى منها السكان أثناء الحكم العثماني، كانت تفسر بالقدر و بالإرادة الإلهية فالاعتقاد الشائع آنذاك كان : " الله يعطي المرض و يشفي مريضه إذا شاء ..."⁵²، و تجدر الإشارة بأن إيالة الجزائر تميزت بكونها أفقر إيالات الإمبراطورية العثمانية من حيث الهياكل الصحية، فالمرافق الوحيدة التي كانت موجودة عبارة عن ملاجئ و مصحات صغيرة، نادرا ما وفرت العلاج للمرضى.⁵³

إن المعلومات التي تتضمنها المصادر و المراجع المتعلقة بموقف البايات من أوبئة الطاعون، تعطي انطباعا بأن معظم البايات لم يكونوا مباليين بالحالة الصحية للسكان، بحيث كان رد الفعل المتمثل في الهروب شائعا، ففي سنة 1794 م و على إثر الطاعون الذي ضرب مدينة وهران، فر الباي عثمان من مدينة وهران و اتجه إلى سهل ملاته، إذ ترك هذا الوباء أثرا مرعبا في ذاكرة سكان البايك، أما الباي، عائلته و حاشيته فلم يعودوا إلى القصر إلا بعد ثلاثة أشهر⁵⁴، و في هذا الخصوص يقول أبو القاسم سعد الله بالنسبة لموقف البايات من الأوبئة و الأمراض : " فإننا نجد تقصيرا كبيرا، و يعود ذلك إلى عدم وجود سياسة واضحة لمواجهة مثل هذه الوضعيات الصحية، و في بعض الأحيان يفرون من الوباء مع عائلاتهم إلى مناطق معزولة عن السكان، و لا يعودون إلا بعد اختفائه مثل ما فعل عثمان باي وهران سنة 1794 م، و هناك من رأى أنه عقاب من الله لعباده".⁵⁵



من خلال ما سبق يتضح لنا أن الفرار من مكان الوباء كان أمراً حتمياً، لجأ إليه السكان أثناء فترات العدوى بصفة مؤقتة، إذ كان يستحيل عليهم مغادرة أملاكهم و أراضيهم بصفة نهائية ففي سنة 1817 و إثر وباء الطاعون، فر اليهود القاطنين بوهرا، و التحقوا بالأماكن المجاورة.⁵⁶

إن عدم التحلي بالحذر و انتهاج سياسة وقائية أمام الأمراض الفتاكة التي عانت منها الجزائر أثناء الفترة العثمانية، جعل أغلب المسؤولين يقللون من شدة و حدّة الأوبئة و خطورتها على حياة السكان، لاسيما حينما يسمحون للسفن المعدية بالإرساء في الموانئ الجزائرية، علماً بأن ما على متنها من بضائع و ركاب مشكوك فيه، كما هو الأمر بالنسبة للسفينة القادمة بالحجاج من مدينة الإسكندرية، حيث يوفي 65 نسمة في ظرف 28 يوماً.⁵⁷

لم يكن هذا الموقف موقف جميع بايات بابلك الغرب، فقد عرف البابلك بعض البايات المسيرين ذوي الكفاءة و المقدرة و حسن التصرف، عرفوا بالعمل على تحسين الحالة الصحية للسكان، و ذلك باتخاذ بعض الإجراءات الوقائية و تأسيس بعض المصحات و الملاجئ و فرض نظام الحجر الصحي⁵⁸ على القادمين إلى البابلك، و كمثال على ذلك الباي محمد الكبير، الذي تميز بمعارفه الطبية الواسعة، حيث كان يصنع بعض الأدوية، و كان يوصي بممارسة الرياضة كأحسن علاج، فكان طبيب الفقراء، بحيث كان يوزع الأدوية مجاناً على المحتاجين، كما شجع الشيخ عبد اللطيف على تأليف كتاب حول الطب النبوي عنوانه: " المنهل الراوي و المنهج الساوي في الطب النبوي "، كما طلب من كاتبه ابن سحنون تأليف قاموس طبي

59.

و تجدر الإشارة الدور الذي لعبته الزوايا و التي تكفلت بالصحة العمومية، بحيث كانت مسؤولة عن مصاريف المرضى، معتمدة على مداخيل الأوقاف، و مصاريف العلاج و الاسعاف كانت أيضاً من مداخيل الأوقاف⁶⁰، و كذلك كانت تأوي الفقراء، العجزة، المعوقين، كما كانت تضم مكتبات بها كتب في الطب و هي عبارة عن مجموعة صيغ تحوي العلاج للأمراض و أعراضها.⁶¹



و في الأخير و من خلال دراستنا لموضوع الوضع الصحي في بابلك الغرب أواخر العهد العثماني يمكننا أن نستنتج مجموعة من النقاط أهمها أن الوضع الصحي في هذا البابلك على غرار باقي الإيالة عرف تراجع كبير و بالتالي انتشار الأوبئة و المجاعات و التي عجزت السلطة العثمانية عن التصدي لهذه الأوبئة خصوصا انها لم تنتهج سياسة صحية مدروسة للحد من انتشار تلك الأوبئة، و هذا ما جعل المجتمع الجزائري يكابد خسائر كبيرة في الأرواح، كما تراجعت النشاطات الاقتصادية الأخرى نتيجة لتردي الوضع الصحي .

الهوامش :

- ١: مخطار، بونقاب، الحياة الثقافية في بابلك الغرب خلال القرنين 18 م 19 م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس، 2015-2016، ص 52 .
- ٢: عائشة غطاس، أوضاع الجزائر المعاشية و الصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات و الأوبئة 1787 - 1830، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، العدد 17 - 18 سبتمبر 1998، ص 361 .
- ٣: توفيق دحماني، الأوضاع الصحية و الكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال، المجلة المغربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد السابع، الجزائر، 2013، ص 137 .
- ٤: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39 - 40، تونس، ديسمبر 1985، ص 432 .
- ٥: فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي و السكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518 - 1871 م، منشورات بن سنان، الجزائر، بدون تاريخ النشر، ص 253 .
- ٦: A Berbrugger, Charte des Hôpitaux chrétiens en 1694, in R.A, N 8, Alger, 1864, P P 133 - 134 .
- ٧: أرزقي شويثام، المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 1519 - 1830، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 284 .
- ٨: فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 219 .
- ٩: Sadok BOUBAKER, La peste dans les pays du Maghreb : attitudes face au fléau et impacts sur les activités commerciales (XVIe-XVIIIe siècles), R.H.M, N 79, MAI 1955, P 323 .
- ١٠: De Grammont, Histoire D'Alger sous La Domination Turque (1515 - 1830), ERNEST LEROUX éditeur, Paris, 1887, P 343 .



“: محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 205 .

“: Jean Marchika ,La Peste En Afrique Septentrionale :Histoire de la Peste en Algérie de 1363 a 1830 ,Julien Carbonel , Alger ,1927 , P 145 .

: فلة موساوي القشاعي ، مرجع سابق ، ص 130 .

“: Jean Marchika ,Op Cit ,P 150 .

“: مسلم بن عبد القادر ،تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب و المسافرين ،تحقيق و تقديم رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 1974، ص 69 .

: فلة موساوي القشاعي ، مرجع سابق ، ص 133 .

“: أبو العيد دودو ،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 -1855، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 1975، ص 72 .

“: Ricard Robert. René Lespès, *Oran, Étude de géographie et d'histoire urbaines.*

In: *Bulletin Hispanique*, tome 41, n°3, 1939. , P 94 .

“:محمد الأمين بلغيث ،الحياة السياسية و الاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ و حضارة اسلامية ، جامعة وهران، 2013 – 2014 ، ص 123 .

:فلة موساوي قشاعي ، مرجع سابق ، ص 145 .

: أحمد توفيق المدني ،مذكرات الحاج أحمد ...، مصدر سابق ، ص 144 -151 .

: فلة موساوي القشاعي ، مرجع سابق ، ص 145 – 146 .

: نفسه ، ص 159 – 160 .

:فلة موساوي القشاعي ، مرجع سابق ، ص 248 – 252 .

“:Fey Henri Léon, *Histoire d'Oran avant Pendant et après La Domination espagnole* , éditeur Adolphe Perrier ,Oran,1858 , p 233 .

“:Ipid ,p 234 .

: ابن زرفة، م م و ج ، مصدر سابق ، ورقة 8 (ظ) .

: ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 211 .

“: P Clausolles , *L'Algérie pittoresque, ou Histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours* ,Imprimerie de J.B Paya éditeur, Toulouse ,1845 ,p 199 .

“:Ipid , p 199 .

“: ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، بيروت، 2000، ص 563 .



- ١٠: أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق و تقديم: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص 31.
- ١١: مسلم بن عبد القادر الوهراني، مصدر سابق، ص 24.
- ١٢: المزابي الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 1، ج 2، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 340.
- ١٣: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 130.
- ١٤: المزابي، مصدر سابق، ص 301.
- ١٥: محمد بن يوسف الزياتي، ص 205.
- ١٦: مسلم بن عبد القادر الوهراني، مصدر سابق، ص 64.
- ١٧: Estarhazy, De la Domination Turque dans L'ancienne Régence d'Alger Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840, P 208.
- ١٨: المزابي، مصدر سابق، ص 327.
- ١٩: محمد بن يوسف الزياتي، مصدر سابق، ص 247.
- ٢٠: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي، مرجع سابق، ص 440.
- ٢١: فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 441.
- ٢٢: كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بابلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، ص 178.
- ٢٣: عبد المجيد قدوري، المغرب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 255.
- ٢٤: Estarhazy, De la Domination ..., Op Cit, P 190.
- ٢٥: حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 136.
- ٢٦: Sadok Boubaker, Op Cit, P 333.
- ٢٧: فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 445.
- ٢٨: نفسه، ص 447.
- ٢٩: كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 178.
- ٣٠: فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 269.
- ٣١: نفسه، ص 360.
- ٣٢: MARCHIKA, Op Cit, P 145.
- ٣٣: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 431.
- ٣٤: فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 432.



نفسه، ص 269 .²⁶

“:الحجر الصحي أو الكرننتينة :مشتقة من الكلمة الإيطالية (quarantina) بمعنى أربعين ، كان الواردون من الخارج و الذين يشبه في مرضهم يحجزون في الحجر الصحي 40 يوما ،حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية . انظر – أحمد السعيد سليمان ،تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ،دار المعارف ،القاهرة ، 1979 ، ص 181 .

: فلة موساوي القشاعي ،مرجع سابق ،ص ص 368 – 369 .²⁷

“:Pierre Boyer, L'évolution de L'Algérie médicale de 1830 a 1956 ,Librairie D'Amérique et D'Orient ,Paris , 1960 ,P 75 .

“:Lamarque Léonce , Recherche Historique sur la Médecine dans la régence D'Alger ,Imp Baconnier ,Alger ,1951 ,P 50 .